الاستبدال الفعلي في النَّصِّ القرآنيّ: سياقاته ودلالاته

مجدي إبراهيم محمَّد صافي
كليَّة العلوم الإنسانيَّة - جامعة الملك خالد - السعودية
majdisafi6@gmail.com
محمَّد داؤد محمد
elmozuro@gmail.com
قسم اللغة العربية – كلية اللغات - جامعة السُّودان للعلوم والتَّكنولوجيا

التقديم: 2/ /2023 القبول: 2023/12/11 النشر: 2024/3/1

Doi: https://doi.org/10.36473/v0mtq255

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International Licenses

الملخص:
تناول البحث الاستبدال الفعليّ في النَّصِّ القرآنيّ مع بيان سياقاته المختلفة، وذكر دلالاته المتنوعة، وتجلَّت مشكلته في محاولة توضيح أسباب استبدال الأفعال في القرآن، ومن أهدافه: توضيح الآثار السِّياقيَّة والدَّلاليَّة المترتِّبة على الاستبدال، وبيان الفرق بين الفعل المستبدَل والفعل البديل، وانتهج البحث المنهج الوصفيّ، وتوقَّف في حدوده عند الأفعال التي استُبْدِلَت بغيرها في القرآن برواية حفص عن عاصم. وتألَّف البحث من جانبين: تناول الأول تعريف الاستبدال، وأنواعه، وشروطه، وأهميته، وقد حوى الجانب الثاني سياقات استبدال الأفعال في الآيات القرآنيَّة ودلالاتها، واكتفى بتحليل ثلاثة عشر أنموذجًا؛ وخُتم بعدد من النتائج أهمها: أنَّ استبدال الأفعال في النَّصِّ القرآني أحيانًا يأتي من باب قياس الأولى؛ بذكر الأدنى ليقاس الأعلى عليه، وتُسْتَبْدَلُ الأفعال أحيانًا لتغيير الأسلوب، والتَّنوُّع في التَّعبير للفت انتباه المُخاطَب.

الكلمات المفتاحية:
الاستبدال الفعليّ، العدول، السِّياق.

Actual Substitution in the Qur'anic Text: Its Contexts and Implications

Magdy Ibrahim Muhammad Safi
College of Human Sciences - King Khalid University - Saudi Arabia
majdisafi6@gmail.com
Muhammad Daoud
Department of Arabic Language - Faculty of Languages - Sudan University of Science and Technology
elmozuro@gmail.com

Abstract:

The research dealt with the verbal substitution in the Qur'anic text, explaining its various contexts and mentioning its various connotations. Its problem was made clear through the attempt to clarify the reasons for replacing verbs in the Qur'an. Among its objectives: clarifying the contextual and semantic effects resulting from the substitution and explaining the difference between the substituting verb and the substituted verb. The research adopted the descriptive approach and stopped limited to the verbs that were replaced with others in the Qur'an according to the narration of Hafs on the authority of Asim. The research consisted of two aspects: the first dealt with substitution, its definition, types, conditions, and importance. The second aspect included the contexts of replacing verbs in Qur'anic verses and their meanings, and limited itself to analyzing thirteen examples. The research concluded with a number of results, the most important of which are: Sometimes replacing verbs in the Qur'anic text comes as a means of measuring the prioritized one by mentioning the lowest to measure the highest, and verbs are sometimes replaced to change the style, and diversity in expression to draw the attention of the addressee**.**

Key Words **:**Actual replacement, reversal, context

مقدِّمة:

تتعدَّد الدِّراسات التي تجعل من النَّصِّ القرآنيِّ منطلقًا لها، وتتجدَّد، وتختلف باختلاف الدَّارسين، واختلاف أهدافهم ومناهجهم وإجراءاتهم التَّطبيقيَّة، وكلٌّ يتناول هذه المادَّة بما يُحقِّق أهدافه، ويخدم أغراضه، وفي هذا السِّياق المُتكامل يأتي هذا البحث ليكون سهمًا علميًّا في هذا الميدان، وعنوانه (الاستبدال الفعلي في النَّصِّ القرآنيّ: سياقاته ودلالاته)؛ ليبيِّن بعض وجوه التَّميُّز في استعمال الأفعال في القرآن الكريم.

وقد تناول الباحثان فيه نماذج فيها ضروب من فوائد الاستبدال، وما لم يُذكر من نماذج في البحث رأى الباحثان أنَّ له نظيرًا مذكورًا، وليس الغرض إحصاءها، وإنَّما الوقوف على مجمل فوائد الاستبدال من وجهة لُغويَّة.

مشكلة البحث:

تتجلَّى مُشكلة البحث في مُحاولة توضيح أسباب استبدال الأفعال في النَّصِّ القرآنيّ، وما ينبني عليه من آثار في السِّياق والدَّلالة.

أهميَّة البحث:
تتمثَّل أهميَّة البحث في خدمته المعنى القرآنيّ بالرَّبط بين الاستبدال الفعليّ، وما يترتَّب عليه من آثار في الدَّلالة والسِّياق بما يزيد في فهم النص القرآني وتفسيره.
أهداف البحث:
عمل البحث على تحقيق الأهداف الآتية:
١-توضيح الآثار السِّياقيَّة والدَّلاليَّة المُترتِّبة على استبدال الأفعال في النَّصّ القرآنيّ.
٢-بيان الفرق بين الفعل المستبدَل والفعل البديل.
٣-الكشف عن تناسق الاستبدال الفعليّ مع السِّياق في النص القرآني.
٤-توضيح الآثار اللَّفظيَّة المبنيَّة على استبدال الأفعال في النَّصّ القرآنيّ، وفوائدها الأسلوبيَّة.
٥-بيان السِّمة الغالبة للاستبدال الفعليّ في النَّصّ القرآنيّ.
منهج البحث:
انتهج البحث المنهج الوصفيّ، وبعض أدواته، كالوصف والتَّحليل والمُلاحظة والاستقراء النَّاقص.
حدود البحث:
توقَّف البحث في حدوده الموضوعيَّة عند بعض الأفعال التي استُبْدِلَت بغيرها في القرآن برواية حفص عن عاصم، وكانت مادَّته عينة مُختارة عشوائيًّا مُكتفيًا بما يفي بالمنشود.
الدِّراسات السَّابقة:
يأتي هذا البحث في بيئة من الدِّراسات التي تناولت الاستبدال، أو العدول سواء أكان عدولًا معجميًّا، أم صرفيًّا، أم نحويًّا، ولكن تميَّز هذا البحث من تلك الدِّراسات في كونه تتبَّع استبدال الأفعال في النَّصّ القرآني، متناولًا سياقاتها ودلالاتها، وآثار هذا الاستبدال، وقد عُرِضَتْ بعض هذه الدِّراسات عرضًا موجزًا يُبيِّن مواطن التَّلاقي والتَّمايز بينها، منها الدراسة الأولى، بعنوان: بلاغة العدول المعجميّ من الاسم إلى اسم الذات في السياق القرآنيّ، ورقة منشورة قدمها حمود محمَّد سيّد علام لمجلة كلية الآداب بجامعة سوهاج العدد: ٦٥ السنة: ٢٠٢٢م، أبرز أهدافها: جمع الألفاظ التي تتداخل في دلالتها المركزيَّة، وبيان الخصائص البلاغيَّة الناتجة عن العدول المعجميّ. وأهم نتائجها: التَّفاوت الواضح بين الألفاظ المعدول عنها والمعدول إليها في الدَّلالات الهامشيَّة. والدراسة الثانية بعنوان: العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم (دراسة دلاليَّة)، لجلال عبد الله محمد سيف الحمادي، وهي رسالة ماجستير مُقدَّمة في جامعة تعز اليمنيَّة بتاريخ: ٢٠٠٧م، من أبرز أهدافها: دراسة دلالة العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم، وأهم نتائجها: أنَّ العلَّة المعنويَّة هي الأهمُّ بالقياس إلى العلّة الصوتيَّة.
خطَّة البحث: تألَّف البحث من محورين، الأول- تناول الجانب النظريّ للاستبدال، والثاني- الجانب التطبيقيّ، وقد درس الآيات المختارة التي وقع فيها استبدال الأفعال.
المحور الأول- الجانب النظريّ عن الاستبدال
القرآن الكريم كتاب فريد في نوعه، بديع في نظمه، معجز في أسلوبه وبلاغته، صالح لكل الأزمنة بصالح أحكامه، وتجدد معانيه، وقد حوى آيات بينات في التوحيد والعقيدة، والعبادة والتعامل، وفي العلم والمعرفة، فمن الآيات ما هو بيّن الدلالة واضح المعنى، ثابت الحكم أجمع عليه أغلب علماء الأمة، وهناك آيات تناولت قضايا العلم، وخفايا الخلق وخبايا النفس، يرتقي فهم معانيها بتطور العلم وتجدد المعرفة، على وفق الضوابط الشرعيَّة المنهجيَّة التي أصّل لها الأصوليون وفقهاء علوم القرآن، تفتح هذه الضوابط نافذة لإعادة قراءة ما قاله المُفسِّرون المُجتهدون، ومن زوايا أخرى تزيد المعنى عمقًا، وتبرهن له أكثر.
وممّا استجد من العلوم ويسهم في هذا المضمار؛ علم لسانيات النَّصّ أو نظرية لسانيات النص، فهي نظرية لا تُنسب لشخصيَّة معيَّنة، ولا لدولة واحدة، هدفها النظر إلى النص في أي لغة، بوصفه وحدة عضويَّة واحدة؛ له قواعد تحكمه، وأدوات تربطه ببعضه، فالنص عمومًا "تتابع متماسك من علامات لغوية أو مركبات من علامات لغوية لا تدخل تحت أية وحدة لغوية أخرى أشمل، فالنص بنية لغوية كبرى تحتوي على وحدات صغرى متماسكة ليست جملًا وإنما أجزاء متوالية" (عفيفي، ٢٠٠١، ص: ٢٧ –

Afifi, 2001p: 27)، وهذا ما يتَّسم به القرآن الكريم -مع مُراعاة الفوارق التي لا تُجيز مقارنته بنص بشريّ مطلقًا- فهو نص واحد موحَّد، لكل سورة صلة بالسورة التي قبلها والتي تأتي بعدها، وكذا الآيات في موقعها لها رابط بما قبلها وما بعدها، وأقوال العلماء في هذا الصَّدد من الكثرة التي لا تُحصى والذّكر الذي لا يُغفل.

وعليه فإنَّ التعريف الذي نذهب إليه للنَّصِّ الذي يُمكن أن يُعدُّ مجالًا لتحليل النص القرآنيّ موضوع الدراسة هو: أن النَّصَّ كيان لغويّ مُتماسك الأجزاء مُترابط الأفكار والأحداث تحكم سطحه بنية عميقة، قد تتداخل في فضائه ملفوظات أو وحدات نصيَّة مُنقطعة على سبيل الاستدعاء من نصوص أخرى فيه"، (يونس، ٢٠١٤م، ص: ٢١ -**Yunus: 2014, p: 21**).

إذن "ليس النص مجرَّد تتابع للعلامات، ولكنَّه يمتلك تنظيمًا داخليًّا خاصًّا به، لا يمكن لكلِّ نصٍّ فني أن ينجز مهمَّته الاجتماعية إلَّا بحضور (تحقُّق) تواصل جماليٍّ في الجماعة التي يعاصرها"، (الحجمري، ص: ١٤ – **Alhajmari: p: 14**)، "وإن كان الحديث عن إعجاز القرآن الكريم يُعدُّ أحد الاتجاهات في التعامل مع لغة القرآن من حيث هو نص، فإنَّ اتجاهًا آخر توافر على دراسة القرآن من حيث الوضوح والغموض في دلالة اللَّفظ على المعنى، ومن الذين تبنَّوا هذا الاتِّجاه علماء الأصول، فنجد علماء الأصول يطلقون كلمة (نصّ) على كلِّ ملفوظ مفهوم المعنى من الكتاب والسنَّة أي كل ما ورد عن صاحب الشرع" (السعيد،١٩٨١م، ص: ١٧ – **Assaeed, 1981**)، وبذلك يكون مفهومهم للنصّ أشمل وأوسع ممّا هو عليه البحث.

للسانيات النَّص سبعة معايير لم يتفق الباحثون في اللغة العربية على ترجمتها، وهي: الاتساق أو السبك، والانسجام أو الالتحام، والقصديَّة والمقبوليَّة، والسياق أو المقاميَّة، والتَّناص والإخباريَّة أو الإعلاميَّة. والمعياران: الأوَّلان لهما علاقة بالنص، والاستبدال يقع في المعيار الأول، معيار الاتساق أو السبك، (خطابي، ١٩٩١م، ص: ٥ -**Khattabi, 1991: p: 5** -).

ومن ناحية أخرى "يقصد عادة بالاتِّساق ذلك التَّماسك الشَّديد بين الأجزاء المشكِّلة لنصّ/خطاب ما يهتمُّ فيه بالوسائل اللُّغويَّة (الشَّكليَّة) التي تصل بين العناصر المكّونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته، ومن أجل رصف اتساق الخطاب/ النص يسلك المحلِّل- الواصف طريقة خطيّة، متدرِّجًا من بداية الخطاب (الجملة الثانية غالبًا) حتى نهايته، راصدًا الضمائر والإشارات المحيلة...، مهتمًّا أيضًا بوسائل الربط المتنوعة كالعطف، والاستبدال والحذف والمقارنة والاستدراك وهلم جرًّا"، (خطابي، ١٩٩١م، ص: ٥، **Khattabi, 1991: p: 5**).

وهذه الآليات هي ما يجعل الحكم مُتاحًا لتماسك النَّصِّ من عدمه، فمن أبرز وسائل الاتساق:

-السبك- الاستبدال بأنواعه، وهو وسيلة تتعلَّق بالجانب الشكليّ لبناء النص، وهو تركيب الجمل والعلاقة بين كلماتها.

تعريف الاستبدال وأنواعه:

عُرِف هذا المُصطلح بالاستبدال أو الإبدال والإحلال والمشهور هو الاستبدال، (بُوقرة، ٢٠١٢م، ص: ٤٨ – **Bugarra, 2012, p: 48**)، وهو "عملية تتم داخل النَّصِّ، وهو تعويض عنصر في النص بعنصر آخر"، (خطَّابي، (٢٠٠٩)، ص: ١٩ -**Khattabi: p:19**)، وللتَّوضيح يُشار إلى أنَّه "يتم الاستبدال على المستوى النَّحْويِّ المعجميِّ بين كلمات وعبارات"،(خطابي، ٢٠٠٩م، ص: ١٩ – **Khattabi, 2009m, P: 19**)، يكون التبديل في الكلمات من ناحيتي الشَّكل والمعنى المعجمي، وبقية التعريفات لا تذهب بعيدًا عن هذا التعريف الذي يُعدُّ الأقدم والأنسب لهذا البحث.

ويُعدُّ الاستبدال من أدوات التَّحليل الأساسيَّة عند بعض اللُّغويين؛ يقول بحيري: "تُعدُّ فكرتا التَّوزيع (التَّصنيف) أو الاستبدال (المعاقبة) هما أساس تحليل الجملة لدى هاريس"؛ (بحيري، ١٩٩٧، ص: ١٩ – **Buhairi, 1997, p: 19**)، ويُقصد الجملة ذات العلاقة النَّصيَّة الكليَّة المنفردة المبتورة، ومن إسهامات الاستبدال في التَّحليل أنَّه "يضطَّلع بمهمّة إعادة تحديد العنصر المستبدَل في السِّياق، والعلاقة بين طرفي الاستبدال ليست تطابقيَّة كما هو الشأن في الإحالة، بل يقوم على الاستبعاد والتقابل وتحديد التَّحديد"؛ (بوقرّة، ٢٠١٢م ص: ٤٨ - **Bugarraم2012 48 :P**,) بمعنى أن اللَّفظ المُستبدل ينُهي علاقته باللَّفظ

الذي حلَّ محلَّه وظيفيًّا. "والإبدال في أساسه كلُّ ارتباط بين مكوِّنين من مكونات النَّصِّ أو عالم النَّصِّ يسمح لثانيهما أن ينشِّط هيكل المعلومات المشتركة بينه وبين الأول"، (دي بوجراند، ١٩٩٨م، ص: ٣٠٠ **de Beaugrand, 1998, p: 300-**)، و"يقوم الإبدال من حيث هو عمليَّة تحويلية للبنى النَّصيَّة في المحور العموديّ على مبدأ الاختيار من مجموعة الوسائل المؤدية للربط النَّصِّيّ مثل: الضمائر والأدوات والعلاقات الدَّلاليَّة فالعموم والخصوص والكليَّة والجزئيَّة والسببيَّة... إلخ"، (بوقرة، ٢٠١٢م، ص: ٤٨ - **Bugarra, 2012m, p: 48**)، "وربما يمكن عدّه بشكل أفضل مظهرًا من مظاهر الكفاءة النَّصيَّة غير أن معظم الاستبدالات النَّصيَّة من طبيعة قبليَّة، فهي قائمة على علاقة بين عنصرين أحدهما متأخر والثاني متقدم"، (قطب، ١٩٩٦م، ص: ص:٤٨ -, **p: 48 Qutb, 1996m**).

وعمومًا فالاستبدال ظاهرة لغويَّة تتمتع بها مُعظم اللُّغات الطبعيَّة، وقد عرفت اللُّغة العربية مُصطلحات كثيرة تُلامس دلالته مثل: النيابة، والتضمين، والانزياح، والمعاقبة، والعدول الذي يُعدُّ أقربها، ويعرف بأنَّه: مَيلٌ عن النظام أو الأصل اللُّغوي، (هنداوي، ٢٠٠١م، ص:١٤١ **Hendawi, 2001m, P: 141** -)، ويُمكن أن نلحظ الفوارق الطفيفة بين المُصطلحين أنَّ في العدول افتراضًا مُسبقًا مُتوقعًا لتكرار لفظ سابق أو مُرادفه لوجود قرينة سياقيَّة في الغالب تشير إليه، أمّا الاستبدال؛ فلا رابط له مُباشر يفترض تكرار اللفظ بعينه. وهناك فرق آخر وهو أنَّ العدول يُمكن أن يكون في زمن الفعل، وعدد فاعله، والضمير، وما إلى ذلك من الألفاظ المُفردة، أمّا الاستبدال؛ فأوسع وأشمل يكون في الكلمة المُفردة والجُملة والعبارة.

للاستبدال شرط لوجوده في النص "وهو أن يتم استبدال وحدة لغوية بوحدة لغوية أخرى تشترك معها في الدلالة، حيث ينبغي أن يدل كِلَا الشَّكلين اللُّغويين على الشيء غير اللُّغويّ في نفسه، وبهذه الطريقة يتمُّ الرَّبط ويظهر التماسك"، (عفيفي، ٢٠٠١م، ص: ١٢٤، وماجد، ٢٠١٦، ص: ١٥١ – **Afifi, 2001m, P: 124 & Majed, 2016m, P: 151** -).

إنَّ الاستبدال لا يقع إلا داخل النص، ويُعدُّ علاقة بين طرفيه على المستويين النَّحويِّ والمعجميِّ، ويشترط في الاستبدال أن يكون عنصراه مشترِكَيْن في البنية الوظيفيَّة، ويعدُّ الاستبدال وسيلةً قويَّةً تكفل اتِّساق النَّصِّ؛ فإذا كان النَّصُّ تتابعًا لوحدات لغويَّة، فالتسلسل الضَّمِيري هو الوسيلة الحاسمة لتشكيله، وعن طريقه يُمكن ربط الجمل مع ضمان تنوُّع الأسلوب واختصاره، والاستبدال من العمليات التي تحقِّق ذلك.

أنواع الاستبدال:

يذكر الباحثون في الدراسات النصِّيَّة للاستبدال أقسامًا ثلاثة بحسب المُستبدل به، وهي: (الشَّاعر، **https://www.alukah.net/literature_language/**):

١- الاستبدال الاسميّ، وفيه يُستبدل اسم بكلمة، مثل: (آخر، وآخرون، وأخرى، وواحد، وواحدة).

٢- الاستبدال الفعليّ، وفيه يحل فعل محلَّ فعل آخر مُتقدِّم عليه، ويمثِّل المُستبدل هنا مادة (فَعلَ) بصيغها المختلفة.

٣- الاستبدال القوليّ أو العباريّ، وفيه يُستبدَل عُنصر لغويّ بعبارة (جملة، أو جمل عدَّة) داخل النص، بشرط أن يتضمن المُستبدل معنى ومحتوى المُستبدل به، ويمثَّل له غالبًا بالعنصر اللغويّ (**SO**) في الإنجليزية.

ويبدو بشيءٍ من النظر أنَّ عناصر الاستبدال أوسع مجالًا من هذه الألفاظ المذكورة؛ فمثلًا:

- بعض الإحالات غير المذكور تدخل في مفهوم الاستبدال الاسميّ.
- وكذلك صنوف الاستعارات، إذ يحل اسمٌ ظاهر مكان آخر من غير أن تتحقَّق شروط الإحالة.
- ويدخل في الاستبدال الاسميّ قضيَّة التنوين المعوِّض عن اسم مفرد، وإقامة الصفة مقام الموصوف، والمضاف إليه مقام المُضاف.

المحور الثَّاني- سياقات استبدال الأفعال في الآيات القرآنيَّة ودلالاتها

عرض الباحثان الآيات التي ورد فيها الاستبدال مع تحديد المعنى باختصار، وبيان الفوائد الدَّلاليَّة والسِّياقيَّة المُترتِّبة على استبدال الفعل المعني، ورُتِّبت الآيات على وفق ترتيبها في المصحف وهي:

١-{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيم}، [البقرة:١٠٤].

أصل كلمة (راعنا) يدلُّ على المُراقبة والحفظ، ويدلُّ كذلك على الرُّجوع، (ابن فارس، ١٩٧٩م، مادة: ر ع ى **Ibnfaris, 1979m**,)، والإحاطة، (ابن منظور، د.ت، مادَّة: ر ع ي)، والدَّلالة الأولى هي المُرادة، فالرِّعَايَةُ وَالْمُرَاعَاةُ: النَّظَرُ فِي مَصَالِحِ الْإِنْسَانِ وَتَدْبِيرِ أُمُورِهِ. وَالرُّعُونَةُ وَالرَّعَنُ: الْجَهْلُ وَالْهَوَجُ، (أبو حيان، ١٤٢٠هـ، ٥٤٠/١ **Abuhayyan, 1420H, 1/540** -)، وكانت لليهود كلمة عبرانيَّة أو سريانية يتسابُّون بها وهي «رَاعِينَا» فلما سمعوا بقول المؤمنين: (رَاعِنَا)، استعملوه وخاطبوا به الرسول صلى اللَّه عليه وسلم، وهم يعنون به تلك المسبَّة، (الزَّمخشري، ١٤٠٧هـ، ١٧٤/١ **Azzamakhshari, 1407h, 1/174** -)، فاحتالوا بهذا اللَّفظ المُحتمِل دلالة مُنحطَّة؛ ليتوصَّلوا إلى النيل من النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم بألسنتهم، فأمر الله المؤمنين بالعدول عن هذا الفعل إلى فعل لا يحتمل سوى دلالة سامية.

الفوائد الدَّلاليَّة والسِّياقيَّة المترتِّبة على استبدال الفعل (راع):

أ-سبب استبدال الفعل هو تغييره بفعل أكمل منه في الدَّلالة؛ لأنَّ الأوَّل (رَاعِنَا) يحتمل الكمال والنَّقص، والثَّاني (انظُرْنَا) لا يحتمل سوى الوصف بالكمال؛ لأنَّ نظر القائد في شؤون رعيَّته وتدبير أمرهم من كمال الرَّاعي، ولا شكَّ أنَّ استعمال اللَّفظ الدَّال على الخير وحده، أولى من المحتمل.

ب- تنزيه النَّبيِّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) من كلّ عيب، ولو كان مجرَّد لفظ غير مرادٍ معناه.

ج- تنبيه المؤمنين على الدِّقة في اختيار الألفاظ ووضعها في سياقها الدَّلاليّ المُلائم.

د- بيان أنَّ حسن القصد لا يُنافي انتقاء أحسن الألفاظ في التَّعبير، خلافًا لمن يختار ألفاظًا غير مُلائمة، ويعوِّل على مقصده.

هـ- تأكيد أنَّ مناط الحكم على الظَّاهر.

٢-{لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِير}، [آل عمران:٢٨].

جاء التَّوجيه من الله تعالى بألَّا ينشغل المؤمنون بأموالهم وجمعها والحرص عليها، ولا أولادهم والرَّغبة في إسعادهم مُضحين في سبيل ذلك بأوامر ربِّهم، وبما فرضه عليهم من الإنفاق والبذل، ناسين وعده بالإخلاف والأجر عَن (ذِكْرِ اللَّهِ)؛ أي: تذكره، وخشيته، وإطعام الفقير في سبيله، وإنفاق المال على حبه، والصلاة والتوحيد والدعاء، وغير ذلك من فرض ومندوب، (ابن عطيَّة، ١٤٢٢هـ، ٣١٥/٥ **Ibnateya, 1422h, 5/315** -) ، (وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ) فيتلهَّى بجمع المال، وحفظه للعيال (فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) لأموالهم ولآخرتهم، ولأولادهم. (الخطيب، ١٩٦٤م، ٦٨٩/١ – **Alkhateeb, 1964: 1/689**).

في الآية استُبدِل الفعل (يَتَّخذ) في قوله تعالى: "لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ" بالفعل (يَفْعَل) في قوله تعالى: "وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً".

الفوائد الدَّلاليَّة والسِّياقيَّة المُترتِّبة على استبدال الفعل (يتخذ):

أ-في الفعل الأوَّل دلالة مُنحطَّة، فأُعرِض عنها؛ وقد ذُكر أوَّل الأمر للحاجة، ولمَّا آن أوان التَّخلُّص منه كان هذا مطلبًا أسلوبيًّا مناسبًا.

ب-الإيجاز؛ فجملة (يَفْعَلْ ذَلِكَ) تُغني عن تكرار الفعل ومتعلِّقاته المُرتبطة به في الاستعمال، وهو مطلب أسلوبيّ مهمٌّ، وفيه اقتصاد في استعمال الألفاظ في مُقابل استيفاء المعنى المُراد تامًّا، بل قد يزيد الإيجاز المعنى.

ج- بيان أنَّ الاعتقاد داخل في الفعل؛ وذلك أنَّ موالاة الكافرين قد تكون بالقلب فقط (اعتقاد)، أو بالقلب والأفعال، فسُمِّيت الموالاة فعلًا.

د- التَّنبيه على أنَّ سبب العقوبة فعل الإنسان وجنايته على نفسه بذكر كلمة (يفعل).

٣-الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ...}، [المائدة:٣].

الكَمَال: التَّمام، وَقِيلَ: التَّمام الَّذِي تَجَزَّأَ مِنْهُ أَجزاؤه، (ابن منظور، ١٤١٤، مادّة: ك م ل، وابن فارس، ١٩٧٩م، مادَّة: ك م ل **Ibnmandhor, & Ibnfares, 1979m**:).

الفوائد الدَّلاليَّة والسِّياقيَّة المُترتِّبة على استبدال الفعل (أَكْمَل):

على المعنى الأوَّل يكون استبدال الفعل (أَكْمَلْتُ) بالفعل (أَتْمَمْتُ) من باب التَّنوُّع في اللَّفظ، وبه يتحقَّق لفت انتباه المُخاطَب، وتنبيهه.

وعلى القول الثَّاني فإنَّ التَّمام فيه معنى التَّجزئة، وهذا يدلُّ على أنَّ إتمام نعمة الشَّرع جاءت مجزَّأة، وأنَّ هذه النِّعمة بدأت مع أوَّل الوحي، وأخذت في التَّكامل إلى أن بلغت ذروة الكمال بختام الشَّرع، وهذا يناسب نزول القرآن منجَّمًا، وهو أكمل في النِّعمة؛ لأنَّ التجزئة لها حِكَم كتثبيت قلب النَّبيِّ (صلَّى الله عليه وسلَّم) وأفئدة المؤمنين، ومنها تيسير حفظ القرآن الكريم، وفهم معانيه، والعمل به، والتَّدرُّج في التَّشريع، واللُّطف في التَّكليف.

٤-{وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي...}، [الأعراف:١٤٣].

النّظر هو طلب الهدى، وهو طلب ظهور الشيء، وإدراكه بحاسّة البصر، والرؤية هي إدراك المرئيّ من غير طلب، وهي الأكمل، وقد يكون النَّظر بالقلب من جهة تفكُّره، (العسكري، د.ت، ص: ٧٦ **Alaskari- P: 76**).

الفوائد الدَّلاليَّة والسِّياقيَّة المُترتِّبة على استبدال الفعل (أَنظُرْ):

استُبْدل الفعل (أَنظُرْ) بالفعل (تَرَانِي)، ومن جهة النَّظر إلى الفروق اللُّغويَّة بين الفعلين، وسياق الآية، لا يتبين معنى ظاهرٌ لاستبدال الفعل، ولكن يظهر من خلال مقالة أبي هلال العسكريّ آنفة العرض أنَّ الرؤية هي الأكمل؛ لكونها تتعلَّق بإدراك المرئيّ، في حين النَّظر يكون بمجرد ظهور المنظور إليه على جهاز البصر، وكثيرًا ما ينظر الإنسان إلى شيء، ولكن لا يستطيع تمييز كنهه، بل قد ينظر إلى إنسان فلا يتبين أهو رجل أم امرأة؟ وقد ينظر إلى حيوان ولا يتبيّن أهو كلب أم ثعلب؟

ولعلَّ الأظهر أنَّ الاستبدال وقع هنا لوظيفة تعبيريَّة، وهي التَّنوُّع في التَّعبير، وفي ذلك جذب لانتباه المُخاطَب، وممَّا يعضِّد أنَّ الاستبدال ليس للفروق الدَّلاليَّة بين الفعلين وجهان:

الأوَّل- أنَّ موسى (عليه السَّلام) استعمل الفعلين في طلبه، فقال (أَرِنِي أَنظُر).

الثَّاني- أنَّ الرؤية أكمل من النَّظر كما مرَّ، ولو كان المُراد من الاستبدال الفروق الدَّلاليَّة لجاء النَّفي متعلقًا بالنَّظر؛ لأنَّ فيه نفيًا له وللأكمل منه من باب أولى.

وتدلّ الآيات، والأحاديث أنَّ نفي الرؤية خاصّ بالدّنيا، كقول الله تعالى: "وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَة * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَة"، القيامة: (٢٢-٢٣).

٥-{وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيم}، [يونس:١٠٧].

وأصل المسِّ جسُّ الشيء باليد، (ابن فارس، ١٩٧٩م، مادَّة: م س **Ibnfares, 1979m**:)، ويدلُّ على اللَّمس، (ابن منظور، مادَّة: م س س **Ibnmandhor**,)، وفي ذلك مُبالغة في الإصابة بالضُّرّ فكأنَّه يباشر المصاب به، ويُلامسه.

الفوائد الدَّلاليَّة والسِّياقيَّة المُترتِّبة على استبدال الفعل (يَمْسَس):

قال الزَّمخشريُّ (رحمه الله): "فإن قلت: لم ذكر المسَّ في أحدهما، والإرادة في الثاني؟ قلتُ: كأنَّه أراد أن يذكر الأمرين جميعًا:

الإرادة والإصابة في كل واحد من الضرّ والخير..."، (الزَّمخشريّ، ١٤٠٧هـ، ٣٧٥/٢ **Azzamakhshari, 1407h**,)؛ فتبيّن باستبدال الفعل من (يَمْسَسْكَ) إلى (يُرِدْكَ) أنّ المسّ من الإرادة، وأنَّ الإرادة من المسّ، ويؤيّد هذا أنّ الله استعمل لفظ (المسّ) للخير، والشرّ في آية واحدة، وهي قوله تعالى: {وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُير}، [الأنعام:١٧]، فتحقَّق بهذا الاستبدال معنى مهمّ وهو أنَّ كلَّ ما يمس الإنسان فهو بإرادة الله.

٦-{فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُون * قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُون}، [يوسف:٧٠-٧١].

هذا الأنموذج (سارقون) جمع (سارق) وهو صفة فاعل، ولكن لقوة دلالته وتضمُّنه معنى الفعل (سَرَقَ) اعتمده الباحثان استثناء.

لمَّا أخبر الله بما وقع لإخوة يوسف (عليه السَّلام) من اتِّهامهم بالسَّرقة كان المنتظر أنّ يكون الفعل الذي سيستعملونه في ردِّ التُّهمة عن أنفسهم مشتقًّا من مادَّة (س ر ق)، كأن يقولوا: ماذا سرقنا؟ أو ماذا سُرِقَ منكم؟ أو لم نسرق، ولكن استُبدِلَ الفعل بفعل من غير هذه المادَّة المعجميَّة، وهو (تَفْقِدُون) في قول الله تعالى حاكيًا عنهم: {قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُون}، [يوسف:٧١]، وتحقَّقت باستبدال الفعل فوائد عديدة.

الفوائد الدَّلاليَّة والسِّياقيَّة المُترتِّبة على استبدال الفعل (سرق):

في ذلك قرينة على براءتهم؛ إذ إنَّهم لم يقروا بوقوع السِّرقة أصلًا، وإن وقعت فهم ليسوا معنيين بها، ولكن سألوا عن المفقود، وليس كلُّ مفقود مسروقًا، فاستبدلوا الفعل؛ لأنه لا يُناسبهم؛ فتحقَّق بهذا الاستبدال هذا الغرض المأخوذ من اختلاف دلالة الفعلين اختلافًا تامًّا.

وقد وقع استبدال آخر من إخوة يوسف في سياق هذه القصَّة عندما قالوا: {قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِين}، [يوسف:٧٣]، فلم يقولوا ما جئنا؛ لنسرق، وإنَّما استبدلوا الفعل بقولهم: "لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ"، ثُمَّ نفوا السَّرقة بقولهم: "وَمَا كُنَّا سَارِقِين"، وفي استبدال الفعل من الفوائد الدَّلاليَّة:

أ-تأكيد نفي السَّرقة؛ لأنَّ السَّرقة من أنواع الفساد في الأرض، ونفي العام ينفي الخاص من باب أولى؛ فهم لم يأتوا لأيِّ نوع من أنواع الفساد في الأرض، سواء أكان سرقة، أم أيّ فساد آخر.

ب- بيان أنَّهم ليسوا من أهل الفسق، والمعاصي، فلا ينبغي أن يُتَّهموا أساسًا.

ج- إقرارهم بأنَّ السَّرقة من أنواع الفساد في الأرض، ومن يصف السَّرقة بهذا الوصف الشَّنيع حريٌّ به أن يجتنب مزاولتها.

٧-{قَالُواْ بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُون * وَأَتَيْنَاكَ بَالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُون}، [الحجر:٦٣-٦٤.

أي: جئناك بما يسرُّك، وهو عذاب الكافرين، وهو الحقُّ، واليقين بما أخبرناك به، وإنَّا لصادقون في إخبارنا. (البيضاوي، ١٤١٨هـ، ٢١٤/٣ **Albaidawi, 1418h, 3/214**).

وهنا استُبدِل الفعل (جِئْنَاكَ) بالفعل (أَتَيْنَاكَ)، والمجيء، يأتي بمعنى الإتيان في المعجم، (مصطفى، مادَّة: أ ت ي**Mustafa**,)، ولم نجد في المعجمات، وكتب التّفسير فرقًا يُحتفل به بين هذين اللّفظين، وما ذكُر من أنَّ المجيء يرتبط بما فيه مشقّة، والإتيان عكسه لا يُناسب هذا السِّياق؛ لأنَّ الفعلين مُسندان إلى الله تعالى، وهو منزَّه عن ذلك، ولكنَّ الذي يظهر أنَّ هذا من باب التَّنوُّع في اللَّفظ، ومن فوائده لفت انتباه المُتلقِّي والمُحافظة على حضورهِ الذِّهنيّ.

٨-{وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاء رَبِّي شَقِيًّا * فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيًّا}، [مريم: ٤٨-٤٩].

وهنا جاء الدُّعاء بمعنى العبادة، قال البغويُّ: "... وأدعو ربّي، أي: وأعبد ربِّي ..." (البغويّ، ١٤٢٠هـ، ٢٣٧/٣ – **Albaghawi, 1420h, 3/237**)؛ ولذلك استُبدِل الفعل في آخر الآية بفعل آخر وهو (يَعْبُدُونَ) ممَّا يدلُّ على أنَّ الفعلين أتيا لمُراد واحد.

الفوائد الدَّلاليَّة والسِّياقيَّة المُترتِّبة على استبدال الفعل (تدعون):

أ-تفسير الفعل المُستبدل (تَدْعُونَ) بالفعل البديل (يَعْبُدُونَ)، ويُستفاد من ذلك تقرير أنَّ الدّعاء عبادة.

ب- بيان العلَّة في اعتزال إبراهيم (عليه السَّلام) قومه؛ لكون ما فعلوه عبادة لغير الله.

ج- التَّنوُّع في التَّعبير وهذا من أسباب لفت انتباه السَّامع، وهو يحقِّق ما يحقِّقه الالتفات في الضَّمائر.

٩-{وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا}، [فاطر:٤٥].

في هذا الموقف ينتظر السّامع، أو القارئ أن يكون ما يأتي بعد "لَكِنْ" فعل يدلُّ على المؤاخذة، ولكن استُبدل الفعل بجملة "فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا".

الفوائد الدَّلاليَّة والسِّياقيَّة المترتِّبة على استبدال الفعل (يؤاخذ):

أ-هذا من دقّة تعبير القرآن؛ فالنَّاس منهم من يستحقّ المؤاخذة والعذاب، ولا مناص له من العذاب؛ لأنه ممَّن سبق عليه الكتاب؛ لكفره، ومنهم من يستحقّ المؤاخذة والتَّعذيب، ولكن يعفو الله عنه؛ بسبب من العبد، أو بمحض فضل من الرَّبّ، فتبيَّن بهذا الاستبدال أنَّ مصير المُذنبين مردُّه إلى الله تعالى، وجاءت الآية مُناسبة لهذا المعنى؛ فكما أنَّ مصير العباد يوم القيامة مفوَّض إلى الله، فإنَّ الآية لم تفصل في مصيرهم.

ب- هناك فائدة أسلوبيَّة وهي الإيجاز؛ فإنَّ قوله تعالى: (فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا) يشتمل على من يعذِّبه الله بعدله، ومن يعفو عنه بفضله، ومن يعفو عنه بسبب أعمال ماحية للذّنوب، أو توبة، أو شفاعة مقبولة، أو غير ذلك.

١٠-{فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِين}، [الصافات:١٠٢].

استُبدِل الفعل (أَذْبَحُ) الذي جاء على لسان إبراهيم (عليه السَّلام) بقوله: "افْعَلْ مَا تُؤْمَر" الذي جاء على لسان إسماعيل (عليه السَّلام)، وقد حقَّق هذا الاستبدال فوائد عظيمة.

الفوائد الدَّلاليَّة والسِّياقيَّة المترتِّبة على استبدال الفعل (أذبح):

أ-جاء قول إبراهيم (عليه السَّلام): "أَذْبَحُك" في موضعه؛ إذ إنَّه ورد في سياق يُناسب التَّصريح، فلا بدَّ من تبليغ رسالة ربِّه بوضوح، وأن يبيِّن لابنه ما يريد أن يفعلَه؛ حتَّى يكون إسماعيلُ (عليه السَّلام) على بيِّنة وعلم بكلِّ ما يُراد فعله.

ب- استبدال إسماعيل (عليه السَّلام) الفعل (أَذْبَحُ) بقوله: (افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ) يفيد العموم؛ فكأنَّه يقول له: افعل كلَّ ما يأمرك به الله من ذبح أو غيره، وفي ذلك زيادة لا تتحقَّق بقوله (اذْبَحْنِي).

ج- في هذا الاستبدال تسليم من إسماعيل؛ فهذا أمر الله وشرعه، فلا حيدة عنه.

د- وفيه بيان سبب تسليمه.

هـ_ وفيه تسلية لنفسه؛ وحمل لها على قبول الأمر.

و- وفيه تسلية لأبيه؛ فهو لا يريد أن يذكِّره بلفظ (اذْبَحْ)، وقد سمَّى الذَّبح بما يجعله محبوبًا إلى النَّفس؛ لأنه أمرَ الله.

ز- وفيه كمال الأدب مع الله ورسوله (عليه السَّلام)، فهو لا يريد أن يصف أمر الله بما في ظاهره قسوة.

ح- وفيه من المزايا الأسلوبيَّة الإيجاز، وهو مطلب أسلوبيٌّ عزيز، ففي قوله: (افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ) من أنواع الأفعال الدَّاخلة فيه ما لا ينحصر.

١١-{قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لاَ يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيم}، [الحجرات:١٤].

أي: صدَّقنا بالله، ورسوله، ولكنَّ الله يعلم الصَّادق ممَّن دخل في الإسلام رهبةً، وقد أقرّهم الله في إسلامهم؛ لأنَّه يتحقّق بالقول، ولم يقرّهم في الإيمان؛ لأنَّه لا يتحقَّق إلَّا بالقول، والعمل معًا، (الطَّبريّ، ٢٠٠٠م، ٢٢/٣١٣-٣١٤ **Attabari, 2000m, 22/313-314** -)، وهنا لا بدَّ من استصحاب سياق نزول الآية، وهو أنَّ طوائف من الأعراب قدموا المدينة في سنة جدبة، فأظهروا الإسلام؛ ليأمنوا على نفوسهم وأموالهم، ويغنموا من مغانم المسلمين، ومنُّوا بذلك على النَّبيِّ (صلَّى الله عليه وسلَّم)، ولكنَّ الله نفى عنهم الإيمان، وأرشدهم إلى أن يقولوا: (أَسْلَمْنَا)، أي: انقدنا واستسلمنا؛ مخافةَ القتل والسَّبي، (العليميّ، ٢٠٠٩م، ٦/٣٧٣ - ٣٧٣/ **Alalimi,2009m, 6/373**)، وذكر ابن أبي زمنين أنَّها في منافقي الأعراب الذين لم يؤمنوا في السِّرِّ والعلانية (ابن أبي زمنين، ٢٠٠٢م، ٤/٢٦٦ (**Ibnabizemneen, 2002, 4/266**.

الفوائد الدَّلاليَّة والسِّياقيَّة المُترتِّبة على استبدال الفعل (آمن):

أ-اختار الأعراب المقصودون في الآية فعلًا ليخاطبوا به النَّبيَّ محمَّدًا (صلَّى الله عليه وسلَّم): لكنَّ الله استبدل هذا الفعل بفعل يُناسب حالهم التي كانوا عليها؛ فإنَّ حالهم كانت تُناسب الفعل (أَسْلَمْنَا) الذي ينطبق على من التزم بالشَّرائع الظَّاهرة، ولا يُناسبهم (آمَنَّا) الذي يدلُّ على التَّصديق الجازم بما جاء في

الكتاب والسُّنَّة، فجاء الاستبدال في هذه الآية؛ لأنَّ الفعل استُعمِل في غير دلالته المعجميَّة والعرفيَّة والشَّرعيَّة.

ب- وممَّا يُستفاد من دلالة الاستبدال في الآية الإرشاد اللَّطيف إلى عدم تزكية النَّفس؛ لأنَّ الإيمان يتعلَّق بأعمال القلوب، والإسلام يتعلَّق بأعمال الجوارح، والإخبار بالإسلام إخبار بمقتضى ظاهر العمل.

١٢-{إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُون}، [المنافقون:١].

الشَّهادة: العلم بالشيء، مع حضورهِ، (ابن فارس، ١٩٧٩م، مادَّة: ش هـ د **Ibnfares, 1979**:)، وهي الخبر القاطع،(الفيروزآبادي، ٢٠٠٥م، مادَّة: ش هـ د - **Alfairozabadi, 2005**) والعلم تمييز الشيء عن غيرهِ، (ابن فارس، ١٩٧٩م، مادَّة: ش هـ د **Ibnfares, 1979m**:)، يقينًا، (مصطفى، د.ت، مادَّة: ش هـ د **Mustafa**,)، وكَذِبُ المنافقين هنا من جهة إخبارهم بخلاف ما يعتقدون، وإن كان في الواقع صحيحًا، (ابن كثير، ١٩٩٩م، ٨/ ١٥٠ - **Ibnkatheer, 1999m, 8/150**)، أي: كاذبون في دعوى المواطأة بين ما في القلب، وما على اللّسان، (الألوسيّ، ١٤١٥هـ، ١٤/ ٣٠٣ **Alalousi, 1415h, 14/303** -).

الفوائد الدَّلاليَّة والسِّياقيَّة المُترتِّبة على استبدال الفعل:

اختار المنافقون الفعل الأبلغ في التَّعبير عمَّا يريدونه من خداع الله ورسوله والمؤمنين، وعندما أثبت الله وصف الرِّسالة لنبيِّه (صلَّى الله عليه وسلَّم) أعاد استعمال فعل من المادَّة المعجميَّة نفسها (يَشْهَدُ)؛ لما فيه من معنى شهود الشَّيء، وحضورهِ؛ ولكن استُبدِل الفعل لمَّا تحوَّل الأمر إلى الإخبار عمَّا في قلوب المنافقين؛ لأنَّ الفعل (يَعْلَمُ)، أنسب في هذا المقام؛ فالعلم يتعلَّق بالظَّاهر والباطن، بخلاف الشَّهادة التي تتعلَّق بالظَّاهر أكثر من تعلُّقها بالباطن، وقد يشهد الشَّاهد بما ظهر ويخفى عليه ما يخفى، أمَّا العلم؛ ففيه اليقين، فجاء استبدال الفعل؛ ليحقِّق هذه النُّكتة الدَّلاليَّة الدَّقيقة، ولأنَّ صفة العلم من صفات الله الذَّاتيَّة.

١٣- {أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَه * بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَه}، [القيامة:٣-٤].

أي: نجمع العظام بعد البعث من القبور، وأمَّا تسوية البنان؛ فقيل: المقصود بها إتقانها سويَّةً بعد بعثه، وقيل: جعلها مستوية كخفِّ البعير؛ فتقلّ منفعته بها، ويكون الكلام وعيدًا وزجرًا، (ابن عطيَّة: ٥/ ٤٠١).

الفوائد الدَّلاليَّة والسِّياقيَّة المُترتِّبة على استبدال الفعل (نَجْمَع):

على القول الأوَّل استُبْدِل الفعل الذي يدلُّ على جمع العظام إلى ما يدلُّ على جعلها سويَّة؛ ليقاس مجرَّد الجمع على ما هو أعظم منه، وهو جعلها سويَّة كاملةً، فإنَّ الذي قدر على التَّسوية أقدر على الجمع -وكلُّ ذلك على الله هيِّن- وعلى القول الثَّاني من وجهَي التَّفسير يكون في هذا الاستبدال إعراض عن دعوى منكري البعث؛ لضعف حجَّتهم، وانتقال إلى الزَّجر والوعيد واكتفى الرَّبُّ -على هذا التَّأويل- في إبطال دعواهم بقوله: "بَلَى" ثمَّ انتقل إلى شأن آخر.

خاتمة:

وأخيرا نحمد لله الذي وفقنا إلى إكمال هذا البحث الذي تناول استبدال الأفعال في القرآن الكريم، وما يترتَّب عليه من فروق دلاليَّة وأسلوبيَّة، وبعد نهاية البحث خرج الباحثان ببعض النَّتائج والتَّوصيات.

نتائج البحث:

بعد نهاية البحث خرج الباحثان بالنَّتائج الآتية:

١- تُبنى على الاستبدال الفعليّ فروق دلاليَّة دقيقة، لا تتحقَّق إذا أُعيد استعمال الفعل بلفظه أو مادَّته المعجميَّة.

٢-يأتي استبدال الفعل أحيانًا لبيان خطأ المتكلِّم في اختياره فعلًا ما فيُستَبدَل بالفعل الذي يُناسب حال صاحبه.

٣-يكون استبدال الأفعال في النَّصِّ القرآني أحيانًا من باب قياس الأولى؛ بذكر الأدنى ليقاس الأعلى عليه قياسَ أولويَّة.

٤-تُسْتَبْدَلُ الأفعال أحيانًا لتغيير الأسلوب، والتَّنوُّع في التَّعبير للفت انتباه المُخاطَب، وليس لغرض إظهار معنى خاصٍّ.
٥-السمة الغالبة لاستبدال الأفعال في النَّصّ القرآنيّ إضافة دلالات لا تتأتَّى بإعادة استعمال الفعل المُبدل.

توصيات البحث:

بعد دراسة هذه المادَّة تفتَّحت أمام الباحِثَين بعض الموضوعات ويوصيان بالآتي:
١-دراسة الاستبدال في القرآن الكريم دراسة أسلوبيَّة دلاليَّة.
٢-تناول الاستبدال في ضوء علم النَّصّ.
٣-كتابة بحث عن الاستبدال الفعليّ في الحديث النَّبويّ؛ ليكون مكمِّلًا لهذا البحث في تناول الاستبدال في النُّصوص الشرعيَّة.
٤-كتابة بحث عن الاستبدال الفعلي في الشّعر العربي المُحتج به؛ ليكون مكمِّلًا لهذا البحث في تناول الاستبدال في النُّصوص العربيَّة الأصيلة.

مراجع البحث ومصادره:

* القرآن الكريم.
١-ابن أبي زمنين، محمَّد بن عبد الله الإلبيريّ، (٢٠٠٢م)، تفسير القرآن العزيز، تحقيق: عكاشة، والكنز، حسين، ومحمَّد، ط١، دار الفاروق الحديثة، القاهرة.
٢-ابن عطيَّة، (١٤٢٢هـ)، المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: محمَّد، عبد السَّلام، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت.
٣-ابن فارس، أحمد، (١٩٧٩م) مقاييس اللُّغة، تحقيق: عبد السَّلام محمَّد هارون، دار الفكر، بيروت.
٤-ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (١٩٩٩م)، تحقيق: سلامة، سامي محمَّد، ط٢، دار طيبة للنَّشر والتَّوزيع.
٥-ابن منظور، (١٤١٤هـ)، لسان العرب، تحقيق: هارون، عبد السَّلام محمَّد، دار صادر، بيروت.
٦-أبو عودة، ماجدة ماجد، (٢٠١٦م)، التماسك النَّصِّيُّ في قصة داوود وسليمان في القرآن الكريم دراسة نحوية تحليلية، رسالة ماجستير، جامعة الأقصى غزة.
٧-أحمد، عفيفي، (٢٠٠١م)، نحو النص: اتجاه جديد في الدَّرس النَّحوي، ط١، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة.
٨-الألوسيّ، محمود بن عبد الله، (١٤١٥هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت.
٩-بحيري، سعيد حسن، (١٩٩٧م)، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ط١، لبنان ناشرون.
١٠-البغويّ، الحسين بن مسعود، (١٤٢٠هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: المهدي، عبد الرّزَّاق، ط١، دار إحياء التُّراث العربيّ، بيروت.
١١-بُوقرة، نعمان، (٢٠١٢م)، لسانيات الخطاب مباحث في التأسيس والإجراء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٢-البيضاوي، عبد الله بن عمر، (١٤١٨هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: المرعشلي، محمد عبد الرحمن، ط١، دار إحياء التُّراث العربيّ، بيروت.
١٣-الحجمري، عبد الفتاح، (١٩٩٦م)، عتبات النص: البنية والدَّلالة، ط١، منشورات الرابطة، الدار البيضاء.
١٤-خطابي، محمد، (١٩٩١م)، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
١٥-خطابي، محمد، (٢٠٠٩م)، شعر محمد مهدي الجواهري: دراسة نحوية نصية، دار العلوم، القاهرة.
١٦-دي بوجراند، روبرت، (١٩٩٣م)، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، ط١، عالم الكتب، القاهرة.

١٧-الزَّمخشريّ، محمود بن عمرو، (١٤٠٧هـ)، الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل، ط٣، دار الكتاب العربيّ، بيروت.
١٨-الشَّاعر، صالح عبد العظيم، ظاهرة الاستبدال في النحو العربي: آفاق غير محدودة، شبكة الألوكة الأدبيَّة واللُّغويَّة: **https://www.alukah.net/literature_language/**
١٩-الطَّبريّ، محمَّد بن جرير، (٢٠٠٠م)، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق: شاكر، أحمد محمَّد، ط١، مؤسَّسة الرِّسالة.
٢٠-عبد الغفار، السعيد أحمد، (١٩٨١م)، التصور اللغوي عند الأصوليين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
٢١-العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، (د. ت)، الفروق اللُّغويَّة، تحقيق: سليم، محمَّد، إبراهيم، دار العلم والثَّقافة للنَّشر والتَّوزيع، القاهرة.
٢٢- العليميّ، مجير الدِّين بن محمَّد، (٢٠٠٩م)، فتح الرَّحمن في تفسير القرآن، تحقيق: طالب، نور الدِّين، ط١، دار النَّوادر.
٢٣-الفيروزآبادي، محمّد بن يعقوب، (٢٠٠٥م)، القاموس المحيط، ط٨، مكتب تحقيق التُّراث، لبنان.
٢٤-قطب، مصطفى صلاح، (١٩٩٦م)، دراسة لغوية لصور التماسك النصي، دار العلوم، القاهرة.
٢٥-مصطفى، إبراهيم، وآخرون، (د.ت)، المعجم الوسيط، دار الدَّعوة، الإسكندريَّة.
٢٦-هنداوي عبد الحميد، (٢٠٠١م)، الإعجاز الصَّرفيّ في القرآن الكريم، المكتبة العصرية، القاهرة.
٢٧-يونس، أحمد عزت، (٢٠١٤م)، العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، ط١، دار الآفاق العربية، القاهرة.

Research references and sources:

*Alqurn Alkareem**.**

1. Abdughaffar, Assaeed Ahmad, (1981m), Attasawur Allughawi Enda Alusouieyeen, Daru Almaarefati Aljameeyya, Aleskandareyya**.**
2. Abuaouda Majda Majed, (2016m) At-tamasuk An-nassi Fi qessati Dawud Wa Sulayman Fi Al-quran Al-kareem: Derasatun Nahweyya Tahlilyya, Resalatu Majestair, Jameatu Al-aqsa, Ghazza
3. Ahmad, Afifi, (2001m), Nahwu Annass: Ettejahun Jadeedun Fi Addars Annahwi, T1, Maktabatu Zahraa Ashsharq, Alqahera **.**
4. Alalemi Mujeeruddeen Ibn Muhammad (2009m), Fathurrahman Fi Tafseeri Alquran, Tahqeeq: Taleb nuruddeen, T1, Darunnawadir **.**
5. Alalousi, Mahmoud Ibn Abdellah, (1415h), Rooh Almaani Fi Tafsir Alquran Aladheem Wa Assabe Almathani, Daru Alkutubi Alelelmeyya, Bayrut, T1 **.**
6. Alaskari, Abuhelal Alhasan Ibn Abdellah (D.T), Alfurooq Al Lughawiyya, Tahqeeq: Saleem, Muhammad Ibrahim, Daru Alelmi Wa Athaqafa Lennashri Wa Attawzeea Alqahera**.**
7. Albaghawi, Alhusain Ibn Masoud, (1420h), Maalemu Attanzeel Fi Tafseeri Alquran, Tahqeeq: Almahdi Abdurrazeq, T1, Darulhyae Atturathi Alarabi Bayrut**.,**
8. Albaydawi, Abdullah Ibn Umar, (1418h), Anwaru Attanzeel Wa Asraru Attaweel, Tahqeeq: Almarashli, Muhammad Abdurrahman, T1, Darulhyaa Atturath AlArabi**.,**

9. Alfayruzaabadi, Muhammad Ibn Yaaqoub, (2005m), Alqamous Almuheet, T8, Maktabu Taqeeqi Atturath, Lubnan.,
10. Alhajmari, Abdulfattah, (1996m), Atabatu Annas: Albenyatu Wa Addalala, Manshuratu Arrabeta, Addaru Albaydaa.,
11. Ashaer, Saleh Abduladheem, Dhaheratu Alestebdal Fi Annahwi Alarabi: Aafaq Ghairu Mahduda, Shabakatu Aluluka Aladabeyya Wa Alllughawyya, https://www.alukah.net/literature_language./
12. Attabari, Muhammad Ibn Jareer, Jameulbayan Fi Taweel Aai Alqran, Tahqeeq: Shaker, Ahmad Muhammad, T1, Muassatu Arresala.,
13. Azzamakhshari, Mahmoud Ibn Amr, (1407h), Alkashaf An Haqaeqi Ghawamed Attanzeel, T3, Daralketab Alarabi, Bayrut.,
14. Bugarra, Neuman, (2012m), Lesaneyatu Alkhetab: Mabahithu Fi Attaaseesi Wa Alejraa, T1, Darualkutubi Alelmeyya, Bayrut.,
15. Buhayri, Saeed Hasan, (1997m), Elmu Lughati Annass: Almafaheem Wa Alettejahat, T1, Lubnan Nasheroon .
16. De Beaugrande, Robert, (1993m), Text, discourse, and, process, Translated by:Hassan, Tammam, T1, Aalamu Alkutub, Bayrut
17. Hendawi Abul Hameed, (2001m), Alejaz Assarfi, Almaktabatu Alasreyya, Alqahera.
18. Ibnabizemneen, Muhammad Ibnabdellah Al-elberi,(2002m), Tafseeralquran alazeez, Tahqeeq: Akkasha, & Al-kanz, Husain & Muhammad, T1, Daralfarouq Alhadethah.
19. Ibnateyya, (1422h), Almuharrar Alwajeez Fi Tafseer Alketab Alazeez, Tahqeeq: Muhammad, Abdussalam, T1, Daralkutub Alelmeyya, Bayrut.,
20. Ibnfares, Ahmad, (1979m), Maqayees Al-luqah, (D.T), Tahqeeq: Haroun, Abdus-salaam Muhammad, Dar Al fikr, Bayrut.
21. Ibnkatheer, Ismael Ibn Umar, (1999l), Tafseer Alquran Aladheem, Tahqeeq: Salama, Sami Muhammad, T2, Dartayba Lennashr Wattawzee.,
22. Ibnmandhor,(1414h), Lesan Alarab, Tahqeeq: Haroun, Abdus-salaam Muhammad, Dar Sader, Bayrut.
23. Khattabi, Muhammad, (1991m), Lesaneyatu Annass: Madkhalun Ela Ensejam Alkhetab, T1, Almarkazu Athaqafeyyu Alarabi, Addaru Albaydaa.,
24. Khattabi, Muhammad, (2009m), Shear Muhammad Mahdi Aljawaheri: Derasatun Nahweyyatun Nasseyya, Dar Aluloom, Alqahera.
25. Mustafa, Ibrahim Wa Aakharoon, (D.T), Almuejamu Alwaseet, Daruddaewa, Aleskandareyyaa.
26. Qutb, Mustafa Salah, (1996m), Derasatun Lughaweyyatun Lesuwari Attamasuki Annassi, Dar Aluloom, Alqahera.
27. Younus, Ahamd Ezzat ,(٢٠١٤م) ,Alelaqatu Annassiatu Fi Lughati Alquran Alkareem, T1, Daralaafaaq Alarabeyya, Alqahera, Alqahera.

Copyrights© Magdy I. M. Safi, Muhammad D. 2024